«ملاحظات نقدية على ترجمة شوراكي للقرآن»

د. صادق محمد نعيمي*

المقدمة

تعتبر ترجمة القرآن من اللغة العربية إلى اللغات الأخرى من الأعمال المحمودة، التي علينا أن نشجع من يقوم بها، وأن نسعى إليها، لأن هذا يمثل نمطاً مهماً من أنماط الدعوة إلى الإسلام.

ولكن الملاحظ لهذه الترجمات منذ ترجمة القرآن إلى اللغة اللاتينية لأول مرة على يد: روبير دي كيتون Robert de Kotton في القرن الثاني عشر الميلادي بتوصية من بطرس الموقر رئيس دير كلوني Cluny في طليطلة، يلاحظ – منذ ذلك الوقت – أن هذه الترجمات إما أن تتسم بعدم موضوعية الترجمة، أي أنها ليست ترجمة أمينة للنص القرآني، حيث يصبح القرآن في هذه الترجمات كنص أدبي، أتى به «محمد»، أو «ما هو فيه Mahomet كما ينطق في الغرب حتى الآن، وإما أن تتسم بفقدان روح القرآن.

ويرى الأستاذ إدوار مونتيه E. Montet. الذي كان أستاذاً للغات الشرقية بجامعة جنيف، أن الترجمات القرآنية حتى سنة ١٩٢٥، كانت تتسم بضحالتها، مقارنة مع النص القرآني باللغة العربية.

ويرد مونتيه ذلك إلى سبب يتعلق بطبيعة اللغات السامية. إن هذا الأستاذ يرى أن سبب هذه الضحالة هو صعوبة ترجمة النصوص المكتوبة بإحدى اللغات

---

* باحث في تاريخ الأفكار في الحضارة الفرنسية – جامعة جنيف – سويسرا.

السامية إلى اللغات الأوروبية، وبصفة خاصة تلك المؤلفات المكتوبة باللغة العربية، ويعطي هذا الأستاذ السويسري مثلاً بعيداً عن القرآن، وهو ضحالة النص الأدبي لبعض قصائد الشعر الجاهلي المترجم إلى اللغات الأوروبية، وعدم قدرة اللغات الأوروبية على احتواء الإيحاء والمدلول الحقيقي الذي تحمله اللغة العربية[١].

وبالإضافة إلى السبب اللغوي الذي ذكره مونتيه، نرى أن هناك أسباباً أخرى تجعل النص القرآني المترجم ضحلاً وركيكاً في حس القاريء المتذوق الناطق بغير العربية.

ومن هذه الأسباب ما يتعلق بمدى التفاعل الوجداني بين المترجم والقرآن. ونعني بهذا التفاعل الروح الإيمانية للمترجم، روح التذوق والإحساس بالقرآن غير موجود عند غير المسلمين الذين يقومون بترجمة القرآن.

ومرد ذلك: أن تذوق القرآن والإحساس بمعانيه الربانية لا يكون إلا مع الإيمان، وهذا الإيمان هو الذي يجعل من القرآن نصاً ليس كغيره من النصوص.

ولذلك كان الصحابة يعطون الإيمان ثم القرآن، فيزدادون به إيماناً.

ومن تلك الأسباب: ما هو متعلق بالمنهج الذي يتبعه المترجم عند شروعه في الترجمة.

ومنها: التكرار الحادث من ترجمة إلى أخرى.

وبالطبع نحن لا نرفض أن تستفيد خبرة من خبرة أخرى، نعم لتزاوج الأفكار، ولكن لا للتكرير الذي لا يقدم جديداً، بل أحياناً يكون هذا التكرير تكراراً لفكرة خاطئة أو حكم مسبق.

ونذكر مثالاً على ذلك، وهو تكرار جورج سل (١٦٩٧ - ١٧٣٦)، G. Sale وهو إنجليزي ترجم القرآن إلى الانجليزية في سنة ١٧٣٤ - وكانت ترجمة سل Sale نسخة من ترجمة الإيطالي لودوفيكوا ماراكسيو (١٦١٦ - ١٧٠٠)[٢] وكان هذا الرجل من رجال الدين المسيحي.

---

(١) Montet (edouard), **Le Coran,** Payot, Paris, 1925. P.7.

(٢) معايرجي: «الترجمات اللاتينية للقرآن» في مجلة (المسلم المعاصر)

ومن تلك الأسباب التي تؤدي إلى ضعف الترجمة القرآنية، غياب روح الفريق. فإن كثيراً من هذه الترجمات بقلم أفراد. ونظن أن عملاً كهذا يحتاج إلى هيئة تضمُّ عدداً من المتخصصين.

ومن هنا نفهم لماذا عانت الترجمات القرآنية، وما انفكت تعاني من ضحالة وركاكة النص القرآني المترجم إلى اللغات الأوروبية - ولذلك ليس غريباً أن يبقى الإسلام شبه مجهول أو مغيب عن وعي الإنسان الأوروبي.

والذي يتحاور مع الغربيين حول الإسلام - يلمس مدى جهل هؤلاء بأبسط قواعد هذا الدين. وهذا الدين لديهم - كما كان لدى أسلافهم - دين رجعي ومن مخلفات العصور الوسطى. ومن هنا فإنه - في نظر الغربيين - لا يستحق أن يولى أية اهتمامات. وما أسهل أن نعلق عدم معرفتهم بالإسلام عليهم، ولكن علينا أن نكون شجعاناً مع أنفسنا، ونعترف بالتقصير منذ قرون وقرون خلت وحتى الآن.

نعم نحن مقصرون بصورة تثير الخجل في بذل الجهد الكافي بتعريفهم بالإسلام، وبعظمة هذه الدين، وهذا حديث ذو شجون، لعلنا نكتب فيه شيئاً في المستقبل القريب.

ويجب التنويه في هذه المقدمة: أن السيد شوراكي، معروف في الأوساط الثقافية الغربية بأنه واسع الثقافة في التاريخ العبري القديم، وفي تاريخ التوراة والإنجيل، ولقد سببت ترجمتاه للتوراة والإنجيل جدلاً كبيراً في الأوساط المهتمة بعلم اللاهوت، وكذلك في بعض الأوساط الثقافية.

ومرد هذا الجدل أن نفس المنهج الذي اتبعه مع القرآن، كان قد اتبعه مع التوراة والإنجيل من قبل، وهو اتباع أصل الكلمة اللغوي عند الترجمة، ويرجع شوراكي دائماً إلى المعنى الاشتقاقي للكلمة، وليس معناها في السياق العام.

ولد شوراكي في الجزائر من أبويين فرنسيين، وهو يهودي الديانة، ويعيش الآن في القدس المحتلة. وما يُورد في هذه القراءة النقدية السريعة لترجمة شوراكي للقرآن، هو طبقاً للطبعة الأولى الصادرة عن دار Robert Laffont سنة ١٩٩٠.

الفصل الأول

«قراءة في منهج شوراكي ومقدمة الترجمة»

يعتمد أندريه شوراكي André Chouraqui في ترجمة الأصل اللغوي للكلمة القرآنية. بمعنى آخر أنه يقوم بترجمة المدلول اللغوي للكلمة، وليس مدلولها الشرعي والقرآني. وشوراكي من بداية القرآن حتى خاتمته يترجم أصل مادة الكلمة، دون النظر إلى تغير المدلول من الأصل اللغوي ليصبح ذا مدلول شرعي، عندما تستخدم كلمة ما من الكلمات في سياق قرآني. وتجدر الإشارة إلى أن للكلمة ثلاثة مدلولات أو ثلاثة معان.

١ - المعنى الشرعي.

٢ - المعني اللغوي.

٣ - المعنى العرفي أو تصور المجتمع لمعني الكلمة، أو مفهوم الكلمة داخل مجتمع ما.

ولنضرب مثلا لذلك، كلمة «صلاة» في الأصل هي الدعاء، والوضوء هو الماء، والصيام هو الإمساك. وكلنا يعلم أن الإسلام يستخدم هذه المفردات بمفهوم أعم وأشمل من المدلول اللغوي.

وكانت النتيجة الطبيعية لهذا المنهج المتمثل في اعتماد السيد شوراكي أصل الكلمة اللغوي وليس الشرعي: أن أصبح النص القرآني المترجم ركيك الأسلوب، ضحل العبارة، مفكك الأركان. وهذا من شأنه أن يسيء إلى النص القرآني المترجم على يد شوراكي، والنتيجة الطبيعية لذلك أن يصبح القرآن نصاً رديئاً في نظر المتلقي الغربي الذي يريد أن يتعرف على الإسلام. وتؤدي هذه الترجمة السيئة كذلك إلى زعزعة عقيدة المسلم الناطق بالفرنسية الذي يريد أن يتعرف على مباديء دينه، لأنه سوف يرى قرآناً فجاً وسطحياً وغير ذي وحدة عضوية بين آياته.

وحقيق علينا أن ننوه إلى أن هذا المنهج ليس سوء نية من شوراكي بقدر ما هو

منهج قد اتبعه عند ترجمته للعهدين القديم والجديد - أي التوراة والإنجيل - حيث تتبع أصل مادة الكلمة في اللغة اليونانية القديمة ثم ترجمها - حسب مدلولها اللغوي الاشتقاقي - إلى اللغة الفرنسية، إذن ما نهجه تجاه القرآن هو نفس منهجه تجاه التوراة والإنجيل. وما ذهبنا إليه الآن هو واجب تقتضيه الموضوعية، علينا أن نقوله رغم يهودية الرجل.

ولقد سببت ترجمتاه للتوراة والإنجيل جدلاً كبيراً في الأوساط المهتمة بعلم اللاهوت في الغرب: La théologie وكذلك في الأوساط الثقافية. ومرد هذا الجدل هو ما ذكرناه منذ قليل حول اعتماده الأصل اللغوي عند الترجمة. ورغم أن هذا الرجل يحمل علماً غزيراً، إلا أن ترجمته للقرآن تعد من أسوأ الترجمات حتى الآن، بسبب هذا المنهج الذي اتبعه.

ولقد سمى شوراكي ترجمته بـ : L'Appel أي الدعوة. وهذا العنوان الموضوع بقلمه يمثل محاولة من طرفه لنزع صفة الوحي عن القرآن، وهي الخصيصة التي لو نزعت عنه لأصبح مجرد نص بشري، كتب في سياق زمني معين. نص يحتوي على بعض القيم الأخلاقية، وعلى بعض التشريعات القانونية الخاصة بالعصور المظلمة التي تجاوزتها المرحلة، وعفى عليها الزمن.

إن نزع صفة الوحي وكونه كتاباً منزلاً هي المحاولة التي ما انفكت ترجمات القرآن بيد غير المسلمين تعكسه للقاريء غير المسلم. وفي سبيل ذلك نرى محاولات متواصلة لبث أفكار خاطئة حول النبي محمد - صلى الله عليه وسلم - ولا سيما قولهم: إن النبي كان يعرف القراءة والكتابة. ولقد نفى القرآن عن النبي «الكتابة، أو القراءة من مكتوب، أما القرءاة تلقينا فقد كان النبي يتقنها».

وهو قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾ . . .﴾ العنكبوت، آية ٤٨.

ونفي صفة عدم معرفة القراءة (من مكتوب)، وعدم معرفة الكتابة عن النبي يعطي انطباعاً بأن هذا القرآن من تأليف النبي. ومن هنا نفهم لماذا ترجم جاك بيرك Jacques Berque الآية القرآنية: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى

﴿يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ﴾ الأعراف آية ١٥٧، نراه يترجم: النبي الأمي بـ: Le Prophéte maternel أي النبي الأمومي أي الذي ينتمي لأمة[٣]. وذلك لنفي صفة الأمية عن النبي. وإذا كان بعض المفسرين قد فسر الأمي بالأمومي نظراً لكون ذلك أحد وجوه «تفسير الأمية أصلا أي من حيث الاشقاق، فإن المدلول في اللغة الفرنسية، ولكل لغة مدلولها كما لكل انسان شخصيته، يصبح النبي المنتسب لأمة والمتعلق بها.

والذي يتحاور مع بعض المثقفين في الغرب حول القرآن، يلاحظ أنهم يتصورون أن النبي كان يعرف القراءة والكتابة، أو يظن بعضهم أن النبي كان يعرف القراءة بمعناها العام (أي قراءة المكتوب وقراءة التلقين)، ولا يعرف الكتابة، لأن العقلية الأوروبية لا تستوعب أبداً أن إعجازاً عظيماً متمثلاً في القرآن يأتي به - حسب تصورهم - رجل لا يعرف القراءة والكتابة، وكذلك طبعاً لا يؤمنون بأن النص القرآني هو وحي. ولزم التنويه أن من دلائل إعجاز القرآن كون النبي أمياً. ولقد ورد هذا إلينا بالتواتر، والتواتر من الأدلة التي لا يشك أحد في صحتها، وكذلك كما أشارت الآية القرآنية سالفة الذكر.

وتتلخص ملاحظاتنا على مقدمة شوراكي لترجمته تلك في النقاط التالية:

- ١ -

يقول في صفحة ١٥: إن القرآن لم يكتب الا بعد وفاة النبي. وفي هذا مغالطة حيث أن القرآن كان يكتب في حياة النبي على عسب النخيل، وعلى القماش وعلى العظام، وهي الوسائل التي كانت معروفة في ذلك الوقت للتدوين والكتابة في منطقة الحجاز، ونعرف أن زيد بن حارثة كان من كتاب الوحي. أما ما حدث بعد وفاة النبي - في عهد أبي بكر وعمر وعثمان، فقد كان

---

(٣) Berque (J.), **Le Coran** tradiut de l'arabe annoté et Suivi d'une étude exégétique, Sindbad, Paris, 1990. P. 181.

وانظر كذلك: د. زينب عبدالعزيز «ترجمات القرآن إلى أين؟ وجهان لجاك بيرك» دار الهداية، القاهرة، ١٩٩٤، ولكننا نحيل القارىء إلى طبعة ١٩٩٥ لأنها إكثر تنقيحاً.

جمع القرآن، وليس بداية كتابة القرآن وتدوينه. إن «عهد أبي بكر شهد جمع القرآن، بمشاركة ومشورة عمر، وإن عهد عثمان شهد كتابة المصاحف.

وكتابة القرآن في عهد النبي، وجمعه في عهد الخلفاء الثلاثة الأول، غير ما حدث في العهدين القديم والجديد، حيث أثبتت أبحاث سبينوزا Spinoza وريشار سيمون R. Simon أن جزءاً من التوراة قد كتب بعد وفاة موسى ونسب إليه على أنه وحي، وأثبتا بعض التحريفات بها. ونعرف جميعاً أن الأناجيل قد كتبت جميعها بعد أن رفع الله عيسى إليه، وما فيها من تحريفات وإضافات شاهد على ذلك.

والتحريف الحادث في التوراة، أمر أثبته البحث التاريخي واللغوي - كما نرى على يد باريخ سبينوزا Baruch Spinoza (١٥٧٧ - ١٦٣٢) - وهو يهودي - أبان عدم كون التوراة كلها وحياً إلهياً، لأن بها أجزاء قد كتبت بعد وفاة موسى. ولقد أجاد هذا الرجل الهولندي في مجال أركيو لوجيا المعرفة Archéolog de Connaissance[٤] ونتيجة هذه الأبحاث - التي أثبت بها عدم كون التوراة كلها كتاباً موحى به - حاول بعض اليهود قتله. ولقد ضمن سبينوزا آراءه وفكره هذا في كتابه باللغة اللاتينية.

"Le Tractatus Théologico- politicus" ويمكن ترجمة العنوان بالعربية كما يلي. «معاهدة اللاهوت والسياسة»[٥].

ولقد شهد النصف الثاني من القرن السابع عشر أعمال متبحر آخر في مجال

---

(٤) هذا التعبير مقتبس من محمد أركون الأستاذ بجامعة السربون، وقد استخدم أركون هذا التعبير في مواضع عدة من كتابيه: «الفكر الإسلامي قراءة علمية» و«تأريخيه الفكر الإسلامي»، طبعة بيروت ١٩٨٦، ترجمة هاشم صالح.

(٥) للمزيد من الاطلاع على رؤية سبينوزا للكتاب المقدس:

1 - Zac (S.) : **Signification et valeur de l'interprétation de l'Ecriture chez Spinoza**, P.U.F, 1965.

2 - Colerus (J.) : **Vie de Spinozz**m Gallimard, Paris, 1954.

3 - Zac (S.) : L **Philosophie, théologie et politique dans l' Ceuvre de Spinoza**, Vrin, Paris, 1979.

أركيولوجيا المعرفة ألا وهو: ريشار سيمون Richard Simon (١٦٣٨ - ١٧١٢). ولقد أثبت سيمون - عند ترجمته للكتاب المقدس - التلاعب في التوراة والإنجيل، ورغم أنه كان كاثوليكياً صرفاً، إلا أن سلامة تكوينه العقلي دفعه لأن يعالج تاريخ كتابة العهدين القديم والجديد بموضوعية.

ومما يجدر ذكره حول هذا الرجل: أنه أشاد بالقيم الأخلاقية التي جاء بها الإسلام. وظهرت آراؤه تلك في كتابه المعنون: «التاريخ النقدي للعقائد والعادات عند الأمم الشرقية»، ولقد ظهر هذا الكتاب سنة ١٦٨٤، باللغة الفرنسية، ولقد تعرض هذا الرجل إلى هجوم من قبل أكبر مؤرخي فرنسا في عهده وهو بوسويه Bossuet خاصة في كتابة «التاريخ العام»، وسبب الهجوم هو ما أثبته سيمون من عدم كون الكتاب المقدس La Bible قد نزل كله من عند الله.

وتمثل أعمال وأبحاث ريشار سيمون خطوة مهمة في مجال تاريخ الأفكار وخطوة معتبرة في نقد زيف بعض رجال الدين من اليهود والنصارى(٦) ولقد تجلت أعماله النقدية هذه في كتابه المعنون: «التاريخ النقدي لترجمات العهد الجديد» ولقد ألفه سيمون في سنة ١٦٩٠.

وجاء من بعد سبينوزا وسيمون عالم آخر هو جان لوكليرك Jean le Clerc ليوضح مدى التلاعب الحادث في نصوص الكتاب المقدس، وقد قام بترجمة العهد الجديد في سنة ١٧٠٣ إلى اللغة الفرنسية، ونشرت ترجمته في امستردام بهولندا. ويعتبر لوكليرك Le Clerc أحد أكبر المتأثرين بفلسفة وأفكار سبينوزا.

وقد قام لوكليرك بنقد أعمال ريشار سيمون. ومن الملاحظ بعد أعمال هؤلاء المتبحرين أو الفحارين - إذا جاز لنا القول في استخدام تعبير (فحار) من الفحر

---

(٦) ونحيل القارىء الذي يريد مزيداً من المعلومات حول أعمال ريشار سيمون حول الكتاب المقدس إلى:

1 - R. Simon : **Histoire critique des Versions du Nouveau Testament,** Roherdaun, 1690.

2 - P. Auvry : **R.Simon, 1638- 1712, étude bibliographique**, Paris, 1974.

في تاريخ الأفكار - أن أصبح الكتاب المقدس موضوعاً للدراسات الإنسانية كنص بشري.

ولعل أفضل ما كتب في مجال إثبات تحريفات الأناجيل، هو ذلك البحث العظيم الذي كتبه: جوم لوك John Locke (١٦٣٢ - ١٧٠٤) المعنون: «مقال حول ضرورة شرح رسائل القديس بولس الخاصة بواسطة القديس بولس نفسه» "A Paraphrase and Notes on the Epistelso St Paul to the Galatians: Essay for the understanding of st Paul Epistels by Consulting St Paul himself".

ولقد فند جون لوك بعض آيات هذا الإنجيل (إنجيل بولس) بصورة علمية. وليس المجال هنا مجال شرح ما دفع جون لوك لأن يفند بعض آيات القديس بولس. وكان من أهم ما نادى به هذا المفكر الإنجليزي: أن دعا إلى تحكيم العقل في قبول الوحي.

إذن العقلية الأوروبية تنظر بشكّ كبير إلى الكتب السماوية، لما لمسوا من تحريف في العهدين القديم والجديد. ولذا يقومون بإسقاط تحريفات التوراة والإنجيل على القرآن. والكثير ممن يتمسكون بالمسيحية في الغرب يعتبرون أن الكتاب المقدس إلهاماً، وليس وحياً. وحتى القساوسة منهم يقولون: إنه إلهام Inspiration وليس وحياً révélation.

- ٢ -

يذكر شوراكي: أن الشيطان يمكن أن يتدخل في الوحي، كما يتدخل النسيان فيه كذلك. ويستشهد على ذلك بالرواية المختلقة حول آيات سورة النجم، تلك الرواية أوردها الطبري، وهي رواية موضوعة، وتقول الرواية المختلقة: إنه نزلت مع الآيتين التاليتين. ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾﴾ سورة النجم (١٩ - ٢٠) آيات حذفها النبي، وهي:

«أولئك الغرانيق العلي، وإن شفاعتهم لترتجي»، وطبعا ابن جرير الطبري هو رجل له مكانته العظيمة في التفسير والتاريخ، ولكنه يصيب ويخطيء كباقي

الرجال. وما علينا إلا أن نتذكر قول الإمام مالك: «كل يؤخذ من كلامه ويرد إلا صاحب هذه الروضة» وأشار بيده إلى قبر النبي ﷺ.

وهذا يؤدي بنا إلى التأكيد على أمر مهم، وهو أن التراث ليس مقدساً، بل المقدس هو القرآن، وما ثبت من صحيح حديث رسول الله. إذن علينا أن لا نأخذ التراث على أنه مسلمات. ولقد استغل كثير من المستشرقين (أصبحوا الآن يحملون اسم علماء الإسلاميات Islamologue لما صار يشين اسم مستشرق لارتباطه بالحقبة الاستعمارية، نقول: لقد استغل بعضهم هذه الرواية الموضوعة، لإثارة البلبلة حول القرآن، وشوراكي «ليس وحده في هذا المجال، ولكنه ناقل عمن سبقه، وخاصة: فولدكه، وبلا شير.

ولقد قال شوراكي عند ترجمته لهاتين الآيتين: إنهما قد تم تنقيحهما، مما يؤكد اقتناعه بهذه الرواية الموضوعة. (انظر صفحة ١١٠٦، هامش رقم ٥٣).

- ٣ -

يستغل المترجم كون القرآن قد نزل على سبعة أحرف، ليقول: إن هناك اختلافات في النص القرآني، وإن هناك نسخاً متفاوتة فيما بينها. ويعتبر أن تاريخ النص القرآني يمثل تعقيداً كبيراً للغاية (ص ١٣).

إن نزول القرآن على سبعة أحرف كلمة حق أريد بها باطل، لأن الأخرف السبعة لا تعني تعارضاً واختلافاً، ولكن هو أمر مرده إلى اختلاف لهجات القبائل العربية في شبه جزيرة العرب. فالقراءة التالية لهذه الآية: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۖ يَقُصُّ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلْفَٰصِلِينَ ﴿٥٧﴾﴾ سورة الأنعام آية ٥٧، هي وحي إلهي، كما هي القراءة التالية «إن الحكم إلا الله «يقضي» الحق وهو خير الفاصلين».

فالقراءة بـ يقص هي وحي، كما هي القراءة بـ يقضي[٧]. وكذلك غيرها من

(٧) انظر: تفسير الجلالين، جزءان، طبق دار احياء الكتب العربية، القاهرة، بدون تاريخ، الجزء الأول ص ١١٧.

الآيات التي بها أكثر من قراءة. ولكنه يحاول أن يستغل كون القرآن قد نزل على هذه الأحرف السبعة ليقول: إن هناك قرآنات سبعة. ونقول: إن هناك قرآنا واحداً، وإن هذا القرآن قد نزل على سبعة أحرف. وحتى لا ندخل في غير تخصصنا نحيل القاريء إلى المراجع التي تعالج ذلك، والمكتبة العربية عامرة بهذه المراجع.

- ٤ -

يرى أندريه شوراكي؛ أن سورة الكوثر قد وضع اسمها بعد وفاة النبي ﷺ (صفحة ١٣). ونقول في إيجاز شديد: إن جميع السور القرآنية ذات أسماء توقيفية. والأمر التوقيفي هو الأمر الذي حدده الشرع.

وقبل وفاة النبي في آخر رمضان من حياته جاء جبريل الأمين وراجع معه القرآن كما هو على وضعه الحالي. كما أن ترتيب السور نفسه هو ترتيب توقيفي.

وفي نفس الصفحة، يكرر المترجم في أكثر من موضع أنه لا يوجد علاقة منطقية في ترتيب السور، وعدم وجود علاقة زمنية (صفحة ١٣).

- ٥ -

يقول شوراكي في (صفحة ١٥) إن السور القصيرة قد نزلت في بداية الدعوة وكان عمر النبي وقتها ٤٠ سنة، حيث كان يغذي نفسه بإلهام شعري، وكان يعبر عن نفسه بأسلوب شعري جميل وفريد واستثنائي.

ولعل تحليل الشاهد السابق يكون جواباً على ما سبق أن طرح في البداية من تساؤل حول سعي غير المسلمين لترجمة القرآن. ويتلخص الرد في نقطتين:

أ - قوله: إن عمر النبي عند نزول الوحي كان ٤٠ سنة هذا قول صحيح، ولكن المحير في الأمر أن المترجم قد وضع علامة استفهام. ومن المعروف أن هذه العلامة تساؤل. ولذا فهو يريد بهذا الهدف اللغوي أن يثير الشك حول ما هو معروف وثابت في سيرة النبي. وهذا أمر يسترعي

لفت الأنظار، حيث أن ما هو موضع يقين، يصبح موضع شك، وما هو أهل للشك، وما هو موضوع، يوضع موضع الحقيقة التاريخية (حديث الغرانيق العلى على سبيل المثال).

ب - قوله: إن النبي كان يعبر عن نفسه في أسلوب شعري جميل وفريد هو تكرار رتيب لما كان يدعيه المشركون في عهد النبي - ﷺ - من أنه شاعر، ولقد رد القرآن على شوراكي وأمثاله حين قال: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ ﴿٤٠﴾ وَمَا هُوَ بِقَوۡلِ شَاعِرٖۚ قَلِيلٗا مَّا تُؤۡمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا بِقَوۡلِ كَاهِنٖۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ تَنزِيلٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٤٣﴾﴾ سورة الحاقة (الآيات ٤٠: ٤٣).

هذا هو الهدف، هدف عميق وخبيث هدف تدميري لإزالة الأمة من جذورها، ويتحقق ذلك عندما يعطون الانطباع أن القرآن ما هو الا نص محمدي، كان يعبر فيه عن نفسه، كما يعبر الشعراء الغنائيون عن أنفسهم. ولعل من الواجب نقل عبارته حرفياً حتى نتبين الفارق بين حرية التعبير عن الرأي وبين سماحة التعدي على حرية الآخرين وعقائدهم، يقول في (صفحة ١٥):

"[....] et s'exprimait avec une exceptionnelle beauté poétique".

- ٦ -

في (صفحة ١٦) يذكر المترجم أن القرآن استعار كلمات من اللغات البربرية والقبطية والأثيوبية واليونانية والهندية والنبطية والفارسية والسودانية والسريالية. ويضيف قائلاً: إن المتخصص في العبرية يلاحظ التطابق الكبير بين ما هو موجود في القرآن وما هو موجود في التوراة.

إن استعارة القرآن كلمات من لغات أخرى، يعد صواباً. فكلمة مسك مثلاً هي كلمة فارسية عربت[٨] وهذا دليل على إعجاز القرآن وإلهية مصدره، لأن

(٨) يراجع مادة. مسك في مختار الصحاح للجواهري.
انظر:
Montesquieu, Considérations sur les Causes de la grandeur et de la décadence des Romauns, Paris, F la maruion, P. 230.

العرب لم يكونوا على علم بهذه اللغات، وكان النبي أميا، فمن علمه هذا وأخبره؟ ويقول صاحب كتاب «القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث»: إن كل ما نسب إلى غير العربية كان متداولا فيها قبل الإسلام، على أنه معرب.

أما عن التطابق الكبير بين قصص القرآن والتوراة فهذا أمر قد أكده القرآن نفسه ولكن هذه العبارة حول التطابق في كثير من المواضع بين التوراة والقرآن، تعد لازمة في ترجمة شوراكي، فهو لا يسأم من تكرار هذا القول.

ولزم التنويه في عجالة أن من بديهات الإيمان: الإيمان بالكتب السماوية ومنها التوراة والإنجيل، وهي بالنسبة للمؤمن كتب منزلة من لدن حكيم خبير. ولكن أحبار اليهود وقساوسة النصارى قد حرفوا الكلم عن مواضعه وما انفكوا يحرفونه. أما القرآن فقد جاء مهيمناً على الكتب السماوية السابقة عليه. وما بين التوراة والقرآن من معطيات مشتركة فهي وحي إلهي وما بينهما من اختلاف فهذا راجع إلى أن التوراة قد حرفت لأسباب تاريخية ولغوية (يراجع النقطة الأولى في هذا الفصل).

– ٧ –

ومن منهجه في البحث: التركيز في ما هو محل خلاف، أو ما هو موضوع وضعيف، ومحاولة إثارته. يشير شوراكي في (صفحة ١٩) إلى الخلاف الذي كان بين المعتزلة وما عرف في التاريخ باسم «أهل السنة» وكان على رأسهم: الإمام أحمد بن حنبل، أيام الدولة العباسية. ذلك الخلاف الذي كان دائراً حول مسألة خلق القرآن: هل هو مخلوق أم غير مخلوق.

أولاً: لست في موضع من يقرر أياً من الفريقين كان أصوب من الآخر، ولكن ما وجب توضيحه هو أنهم كانوا يستخدمون عبارة، «هل القرآن كتاب الله مخلوق، أم هو كتاب الله غير مخلوق؟». نلمح أن كلا الفريقين كان متفقاً على أنه كتاب الله، أما شوراكي فيقول: هل القرآن مخلوق أو غير مخلوق: Le Qur'ân est-il erée ou incrée? وهذا يعطي الانطباع في عقلية

القاريء – الذي لا يعرف قصة هذا الخلاف – أن ثمة خلافاً كان قائماً بين المسلمين حول كون القرآن من عندالله أم لا؟.

القرآن كتاب الله. هذا ما اتفق عليه المعتزلة مع «أهل السنة»، فلماذا لا يسعى لإبراز ذلك، بل نراه يركز على موضع الخلاف. قال تعالى:

﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ . . .﴾ آل عمران الآية ٧.

– ٨ –

يعود المترجم إلى موضوع عفا عليه الزمن، وهو أن الظروف التاريخية التي كانت في عهد النبي قد ساعدت على انتشار الإسلام.

لقد كان العالم آنذاك – في القرن السابع للميلاد – متمزقاً بين قوي متصارعة. ثم يذكر أن العرب قد تبنوا الإسلام للخروج من حالة التهميش التي كانوا عليها، حيث كان العرب بين حضارتين كبيرتين – الفرس والروم – هذا ما ذكره شوراكي في (صفحة ٢١).

عندما ظهر الإسلام، كان العالم تحكمه قوتان – الفرس والروم – وكان هذا العالم قد صار ضعيفاً لثلاثة أسباب تاريخية.

أولها: أن الامبراطورية الرومانية الشرقية قد عانت من انقسامات شديدة بعد موت الامبراطور جوستيفان Jutinien.

وثانيها: أن الأمبراطورية الرومانية الغربية قد دمرت بسبب اجتياح قبائل القوط والهن Huns.

وثالثاً: الدولة الفارسية كانت تعاني من الحروب الأهلية، نتيجة النزاع على السلطة بين أحفاد أنوشروان.

ولقد تحدث الكثير عن شكل العالم وحالته عند ظهور الإسلام، ونذكر من أهمهم الفيلسوف الفرنسي مونتسكيو Montesquieu الذي مات سنة ١٧٥٥ في

كتابه: «الاعتبارات حول أسباب عظمة وانحطاط الرومان». وخاصة في الفصل الخاص بضعف الدولة الرومانية الشرقية، والتي كان مقرها في بيزنطة[٩] ولقد تحدث عنه فولتير كذلك في كتابه: «مقال حول عادات وروح الأمم»[١٠] ولقد أجاد فولتير Valtaire (١٦٩٤ - ١٧٧٨) في عرضه لهذه الأسباب بروح تقدمية جداً، مقارنة لتصورات القرن الثامن عشر عن الحضارة الإسلامية.

أما رؤيته حول تبني العرب للإسلام للخروج من حالة التهميش، فهو قول مردود عليه بأن الإسلام ليس ديناً قومياً، بل هو رسالة عالمية:

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧﴾ الأنبياء الآية ١٠٧.

ولم تكن الظروف السياسية في القرن السابع الميلاد مواتيه لانتشار الإسلام بقدر ما كانت النفوس البشرية متعطشة لدين، دين قادر على أن يروي ظمأها الروحاني، ويراعي فطرتها الإنسانية. وما أشبه الليلة بالبارحة، إذ أن النفوس البشرية الآن تعاني من فراغ روحاني مدمر، خراب يعشش في النفس الإنسانية، خراب يحسه ويلمسه من يتعامل مع أهل أوروبا، ولا سيما عندما يزيل هذا الستار المادي الخادع. إنك لتلمح نفوساً مدمرة: هي أقرب إلى الانتحار منها إلى الرغبة في الحياة، وإنك لتلمس بصورة عملية مع كثير من أبناء أوروبا الغربية كيف يحيون حياة غير معقولة المعنى، وكيف تعلو الكآبة أرواحهم، حتى الابتسامة فهي مجرد مظهر اجتماعي، وليست تعبيراً عن حالة معنوية سعيدة. إنه غياب المعنى: معنى الأشياء، غياب الرمز.

وليس غريباً أن تلمح كيف ارتدت البشرية الآن إلى عالم الوثنية الجديدة. نعم إن كثيراً من الأوروبيين قد ارتدوا إلى حالة غريبة من حالات الوثنية. إنك لتلمح ازدياد الاعتقاد في دور العرافين، وفي الدجل والخرافات، وفي الورق.

---

(٩) انظر:

Voltaive, Essai sur les moeurs et l'Esprit des Nations, Gargnier Frére, Paris, tome 1, P. 258.

(١٠) أنظر:

Voltaire, Essai sur les moeurs et l'Esprit des Nations, Gargnier Frère, Paris, tome 1, p.258.

وكل هذا رغم التقدم العقلاني الكبير. إنها حيرة العقل الإنساني عندما يتيه بنفسه، ناسياً أن هناك خالقاً له. إن كثيراً من النفوس الخربة والخاوية تتطلع إلى إيمان ينقذها من الهاوية: هاوية عدم معقولية الحياة، بيد أنها تفتقد القدوة وهي السلوك المتحضر، والفكر الراقي النبيل من قبل المسلمين.

يذكر المترجم في (صفحة ١٦) إن الحج إجباري. طبعاً يكاد يكون هذا دليلاً على أنه يسير على نمط: «لا تقربوا الصلاة». إن الحج كما هو معروف اجباري على المستطيع: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ مَّقَامُ إِبْرَٰهِيمَ ۖ وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا ۗ وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ مَنِ ٱسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا ۚ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩٧﴾﴾ آل عمران ٩٦: ٩٧.

وهكذا حذف شوراكي «من استطاع إليه سبيلاً» وذكر أن الحج واجب فقط. فكيف يؤتمن مثل هذا الرجل علي نقل عقيدة الإسلام لغير المسلمين.

الفصل الثاني
«ملاحظات على الترجمة»

١ - على مدار ترجمته، يترجم شوراكي: الرحمة والرحمن والرحيم بالرحم اعتمادا على أصل كلمة الرحمة اللغوي وهو: رحم. وهذا خطأ بين، إذ أن الرحمة أصبحت مدلولاً للحنان والعطف والشفقة والعطاء.

إن هذه الكلمات ذات المدلول الإنساني العظيم، والتي هي من أعظم صفات الله، صفته الرحمة، ومن أسمائه الحسنى: «الرحمن الرحيم، هذه الكلمات الراقية ذات الإيحاءات والمدلولات العظيمة تصبح رحم المرأة» matrice بدلاً من أن تترجم بـ Miséricorde مما يجعلها تتناسب مع السياق القرآني ومدلولها الراقي. فعند هذا الرجل نجد أن الله صور رحم المرأة، وهو الداخل في الرحم والخارج منه، وهو عمل الرحم. وعلى مدار الترجمة يستخدم:

Matrice- Matriciant- Matriciel إن هذا التلاعب مرفوض على المستوى العقدي، لأن هذا يُعد مساً جارحاً بعقيدة أمة عرفت على مدار تاريخها بأنها رمز للتسامح والرحمة.

وإذا حللنا هذه الترجمة في مجال تاريخ الأفكار، نجد أن هذه الترجمة تمثل ردة حضارية في مجال الأفكار، وذلك لأن أول ترجمة للقرآن باللغة الفرنسية بقلم أندريه دي ريه André Du Ryer في سنة ١٦٤٩ قد ترجمت البسملة بصورة صحيحة(١١):

Au nom de Dieu Clément & miséricordieux

وتعد ترجمة القرن السابع عشر (ترجمة أندريه دي ريه سالفة الذكر) قد شابها أخطاء كثيرة، كما يذكر كلود سفاري Savary(١٢). ورغم الكثير من الملاحظات

---

(١١) André Du Ryer, **l'ALCORAN de Mahomet,** Rotterdam, 1770. P. 379.

(١٢) Savary (C.E), **Le Koran**, tradiut de l'arabe, Gargnier, Paris, 1882. P. X.

الأخرى المأخوذة عليها إلا أنها تعد أفضل من الترجمة موضوع البحث. ولقد درج الفكر الإنساني أن يستفيد الجديد منه بما سبق وأن يشهد الفكر تقدماً، إلا أن صاحبنا قد آثر أن يرتد إلى الوراء.

٢ - يترجم كلمة المتقين بالمرتعبين les frémissants وفي اللغة الفرنسية كلمة أنسب كثيراً وهي les pieux، ثم يعلق على ذلك في الهامش، ذلك الهامش الذي أصبح معه «مسمار جحا» قائلاً: «إن استخدام المرتعبين يتناسب مع استخدام التوراة لها، أي المرتعب من الناس في مواجهة المقدس (صفحة ٣٢)، من الواضح أن عقليته التوراتية مسيطرة عليه تماماً، فهو يحاول أن يرجع استخدام القرآن لألفاظ معينة، لما هو موجود في التوراة. والحق يقال أن هذا الرجل له معرفة عميقة بالتوراة والإنجيل، وهذه المعرفة هي سبب شهرته في الأوساط المهتمة بتاريخ وعلوم الكتب المقدسة.

بيد أن استبدال المتقين les pieux بالمرتعبين les frémiss ants ليس لموافقة التوراة في الاستخدام وحسب، بل هو امتداد لما هو مفهوم عن الإسلام في العقلية الغربية، وأعني بهذا الفهم - في هذا الموضع - تصور العقلية الأوروبية للإسلام على أنه دين عنف وقسوة وشدة. ومن هنا كان الرعب في مواجهة المقدس، أقرب إلى هذه العقلية من الخشية والتقوى في مواجهته. ويشهد تاريخ الأفكار لما ذهبنا إليه الآن من أن مفهوم الإسلام لدى الإنسان المثقف ثقافة أوروبية بحتة هو مفهوم أقرب إلى العنف منه إلى الدين.

ونستشهد على وجهة النظر تلك ببعض ما في أدب وثقافة الحضارة الأوروبية عن تصورها عن الإسلام من كونه دين رعب وخوف وإرهاب. ونورد هنا رؤية الفيلسوف الفرنسي الموسوعي Diderot دريدو الذي مات سنة ١٧٨٤ حيث يذكر في كتابه: «خطاب حول الصم والبكم» كيف أن شئون العالم الإسلامي تعكس طبيعة هذا العالم من عبودية وقسوة واستبداد(١٣). وفي القرن التاسع عشر يكتب

(١٣) Diderot (D.), **Oeuvres Complétes**, le club francais du Livre, tome II. P. 577.

أدجار كينيه E.Quinet في كتابه: «المسيحية والثورة الفرنسية»، يكتب باستفاضة عن هذا الدين المحمدي، ويقصد به الإسلام، وكيف أنه دين عنف وشدة وعدم رحمة(١٤)، وهذه الصورة ما انفكت تابعة في الضمير الأوروبي حتى الآن. فالإسلام لدى رجل الشارع الأوروبي هو دين عنف وتعصب. ومن هنا نلاحظ لماذا عقلية اندريه شوراكي تميل إلى اختيار الألفاظ الأقرب إلى الشدة والقسوة في أثناء ترجمته تلك.

٣ - يدخل شوراكي العبارات التي توضح أجزاء وأحزاب وأرباع القرآن داخل النص القرآني، بدلاً من أن يكون هذا في الهامش الجانبي، كما هو معمول به في المصحف العثماني.

ووجه الاعتراض على إدخال ما يشير إلى نهاية الربع أو الحزب أو الجزء داخل النص القرآني، مرده إلى كون هذا التقسيم من جهد البشر، قام به علماء المسلمين، أما القرآن فهو نص إلهي.

٤ - عندما يتحدث النص القرآني عن وجوب احترام المسلمين لما يبرم من العقود، وهو شكل عظيم من أشكال الحضارة الإنسانية، وهو احترام بنود ما يتفق عليه الطرفان، نرى المترجم يحاول أن يجعل النص القرآني غامضاً. يقول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ. . . .﴾ سورة المائدة آية ١. نراه يترجمها كما يلي:

"Ohé, Ceux qui adhérent. Remplizzy les obligations"

إن القاريء للنص في لغته الفرنسية يلاحظ الغموض واللبس فيه، مما يجعل الآية مبهمة، صعبة الفهم. وهذه الآية توضح تشريعاً إسلامياً عظيماً. وأنه لشيء مشرف أن يتعرف غير المسلم على مثل هذه الأخلاقيات الراقية. وما أعظم خلق الوفاء بالعقد المبرم بين الطرفين، وهذا أرقى ما وصل إليه الفكر الإنساني: احترام الكلمة المبرمة والمتفق عليها.

---

(١٤) انظر: "Le Temps de la reffexion", II, 1981. P. 220.

إنه يترجم أوفوا: أملأوا، من ملأ. صحيح أن أوفى الكيل تعني ملأ الكيل، ولكن أوفى العقد غير أوفى الكيل، أوفى الأولى (وفاء العقد) هو سلوك عملي قائم على حالة وتصور معنوي، أما الثاني (وفاء الكيل) قائم على ما هو حس ملموس. وما أسهل أن تفهم القرن بين الوقار والامتلاء. بيد أنه يمكن قبول فعل Remplir ولكن التعبير lemplissey les Obligations تعبير غامض ونقترح هذه العبارة: Remplissez Vos Contrats أي استبدال كلمة Obligations بكلمة Contrat.

٥ - عند ترجمته لسورة يوسف نراه يقول في تقديمه للسورة:

«إن حياة يوسف في القرآن ما هي إلا تكرار لما في التوراة» (صفحة ٤٥٧).

ليندرج هذا الكلام في سياق خطابه العام المتمثل في أن القرآن ما هو إلا تكرار لما هو موجود في التوراة. وسوف نعرض لهذا الخطاب Discours في مواضع عدة. ويجدر الذكر أن أصل الدين واحد، وهذه الآية توضح حقيقة الوحي:

﴿۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ كَبُرَ عَلَى ٱلۡمُشۡرِكِينَ مَا تَدۡعُوهُمۡ إِلَيۡهِۚ ٱللَّهُ يَجۡتَبِىٓ إِلَيۡهِ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِىٓ إِلَيۡهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ وَمَا تَفَرَّقُوٓاْ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۚ وَلَوۡلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمًّى لَّقُضِىَ بَيۡنَهُمۡۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ لَفِى شَكّٖ مِّنۡهُ مُرِيبٖ ﴿١٤﴾﴾ سورة الشورى ١٣: ١٤.

إن هذه النقطة المتعلقة بوحدة أصل الدين تحتاج إلى تبيين وتوضيح، لأنها هامة للغاية في مجال تاريخ الأفكار. إن الدين هو دين واحد، نزل من عند الله على رسله لإنباء البشر بما لا تستطيع عقولهم إدراكه.

وكانت من مهمة الرسل نقل الوحي الإلهي إلى البشر، ذلك الوحي الذي يحمل أخلاقاً إنسانية راقية من شأنها إسعاد البشر إن هم ساروا على درب هذه الأخلاقيات؛ لأنها تراعي حاجة الإنسان الروحانية والمادية معاً. وكان

من مهمة الرسل كذلك التبشير بمبدأ الثواب والعقاب وخلود الروح.

ثم خضع الدين عبر عصور وعصور إلى تحريف وتبديل، واختلط الدين بالخرافة والدجل. وفي كل فترة من الفترات كان الله - تعالى - يرسل رسولاً، ليقود البشرية من جديد إلى الدين الصحيح، فيتبعه أصحاب النفوس النبيلة والعقول المتحررة من الخرافة والوهم، ويصد عنه أصحاب المصالح الدنيوية، وكذلك المرتكسون في حمأة الدجل والوهم. وهكذا في كل أمة وفي كل عصر، حتى بعث الله محمداً ﷺ بالدين القيم على ما سبق، وكتاب الله مهيمناً على الكتب السماوية السابقة.

ولقد حاول فلاسفة عصر التنوير في القرن الثامن عشر (وفلسفة هذا العصر تمثل القاعدة العلمانية للفكر الأوروبي الراهن) الوصول إلى أصل الدين. بيد أن العقل الإنساني - رغم المجهود الذهني الكبير - بقى قاصراً عن أن يدرك الأمور الميتافيزيقية وإدراك الغيبيات. وكان من نتيجة ذلك أنهم كانوا ينادون بالرجوع إلى ما أطلقوا عليه: الدين الطبيعي.

ولسنا نغالي حينما نقول: لو أن هؤلاء الفلاسفة كانت لديهم مصادر إسلامية سليمة تعكس الرؤية الإيمانية الإسلامية للكون وللحياة وللإنسان وكان المسلمون في وقتهم على مستوى التحضر الكافي، لكان قد تبنى هؤلاء الفلاسفة الإسلام، ولكان قد قدم حلاً لأزمة الضمير الأوروبي في نهاية القرن السابع عشر وبداية القرن الثامن عشر. ولكنه للأسف كانت مصادرهم عن الإسلام مصادر كنسية، كرهوا من خلالها الدين، ومصادر تاريخية كتبت للإدانة، أكثر مما كتبت للتحقيق التاريخي.

ونوضح أن هذه المعضلة: عرض الإسلام على الغرب ما انفك يعاني من سوء وتسفيه. وكذلك فإن أخلاق بعض المسلمين الآن أبلغ دعاية سيئة لهذا الدين العظيم. نعم علينا أن نتحلى بالشجاعة ونعترف بالتقصير، سواء على المستوى الفكري أم على المستوى الأخلاقي.

٦ - كذلك في ترجمته لسورة يوسف، يترجم شوراكي الآية: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ ٱلْقَصَصِ بِمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ وَإِن كُنتَ مِن

قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ ﴿٣﴾﴾ يوسف ٣. يترجمها بما يلي: «**نحن نحكي لك أجمل الحكايات**» صفحة ٤٥٨. وطبعاً الحكاية غير القصة، لأن الأولى للتسلية، أما القصة (بمعناها القرآني) فهي للعبرة، كما يقول الله تعالى:

﴿لَقَدْ كَانَ فِى قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۗ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾﴾ يوسف ١١١.

إن استخدام القرآن لكلمة قصة للدلالة على الرواية التاريخية الصحيحة لأحداث ماضية قد طمست عبر الزمن أحياناً، أو حرفت في الكتب السماوية السابقة على القرآن. إن كلمة قصة في سياقها القرآني تعني تذكرة وتاريخ ما قد سبق، إن شوراكي يستخدم كلمة Eécit أي حكاية، وحسب قاموس Robert فإن هذه الكلمة تعني «حكاية شيء، سواء أكان يعبر عن أحداث حقيقة أو خيالية» ولذلك كان الأجدر بالمترجم أن يستخدم كلمة Histoire بمعناها التاريخي وليس بمعناها الروائي الأدبي. وتجدر الإشارة إلى أنه في اللغة الفرنسية كلمات للدلالة على الحكاية وهي Conte وعلى القصة في المجال الروائي وهي: Roman.

٧ - في هامشه الموضوع لتوضيح ترجمته للآية: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٢﴾﴾ يوسف ٢٢، في هذا الهامش يكشف المترجم عن هدفه بوضوح وهو الوصول بقارىء الترجمة إلى الاقتناع بأن التوراة هي الأصل، وأن القرآن ما هو إلا تقليد ونقل لما فيها.

يقول في صفحة ٤٦٢: «عندما يختلف القرآن عن التوراة فيما يتعلق بقصة، يوسف، فإن القرآن يستلهم من مصادر أحبار اليهود» إن هذا القول من الوضوح بما لا يحتاج إلى تعليق، لأن هذا يكشف خطابه العام في ترجمته للقرآن.

٨ - يترجم كلمة (المشرك) (بالمساهم) فنراه يترجم الآية القرآنية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ

عَامِهِمْ هَـٰذَا ۚ وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦٓ إِن شَآءَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٨﴾ التوبة آية ٢٨.

يترجمها كالتالي:

"Ohé, ceux qui a dhérent,
les associateurs sont immondes!
Qu'ils n'approchent pas de la mosqueé Inderdite"

إن اللغة الفرنسية فيها الكلمة التي تعبر بدقة عن مدلول لفظة: المشرك، أي الذي يعترف بوجود الله، ولكنه يؤمن بآلهة أخرى مع إيمانه بالله في آن واحد. إن كلمة Polythéiste هي الترجمة الصحيحة لكلمة مشرك. أما كلمة associateur المستخدمة في الترجمة، فتعني المساهم والمشارك، وشتان ما بين المشرك كلفظ ديني مفهوم لدى كل الأمم، حتى صار من اللامعرفات التي هي ألفاظ معروفة بذاتها، ولا تحتاج إلى تعريف. إن هذا الخلط بين المشرك والمشارك يدخل القاريء في حيرة حول مدلول ومفهوم النص القرآني، وهذا يدفع القارىء غير المسلم إلى الوصول إلى حكم خلاصته غموض النص القرآني وعدم معقوليته.

ونلاحظ كذلك في ترجمة هذه الآية أنه يترجم المسجد الحرام، بالمسجد الممنوع. وطبعاً المسجد الحرام في مفهوم المسلمين هو المسجد المقدس، وهو المكان الذي شرفه الله، بأن جعله حرماً آمناً: أي مكان عبادة آمن. ونقترح التعبير التالي: La Sainte mosquée.

٩ - تمثل ترجمته لسورة الإسراء، نوعاً من أنواع استغلال الترجمة لتحرير أفكار سياسية صهيونية. وهذا أسوأ ما في الترجمة. وادخال هذه الآراء السياسية التي تعبر عن أيديولوجيته في هوامش النص القرآني، تعبر عن عدم موضوعيته، لأن الأمانة العلمية تستلزم الحيدة، والتعامل مع الموضوع المعالج بأمانة.

ولكننا نرى أنه يستغل ترجمته لكتاب عزيز على كل مسلم لتحرير آرائه الصهيونية. وتجدر الإشارة إلى أن الصهيونية نوع من أنواع الفاشية والنازية، وهي ضرب من ضروب العنصرية. ولا بد أن تسقط كل حركة عنصرية. ولنا

في أحداث التاريخ عبرة وعظة، وحتماً سوف تندحر العنصرية في مواجهة الانفتاح الإنساني.

أما الشواهد التي تثبت أنه يبث فكراً صهيونياً في ثنايا هوامشه التي يضعها لتوضيح الترجمة.

يقول في (صفحة ٥٥١): «إن المسجد الأقصى هو معبد القدس المبني لمجد أيلوهيم – الله Élohim على يد ملك العبرانيين سليمان ١٦٢٢ سنة قبل الهجرة».

إن عبارته السابقة تعنى أن المسجد الأقصى هو معبد القدس، وهو حق لليهود، وليس حقاً للمسلمين أو كما يطلقون عليهم في أجهزة الإعلام الغربية: العرب. وهذا غريب، لأنهم يطلقون على الإسرائيليين اليهود، ويقولون عن الفلسطينيين: العرب. ووجهة الاعتراض هو أن اليهود صفة لدين، أما العرب صفة لجنسية وقومية.

إن أندريه شوراكي يريد القول: إنه طالما قد بنى في عهد ملك العبرانيين فاليهود أحق به، أي حق بالقدس. وقبل أن نحلل هذا الأمر علينا أن نذكر أن هذا الرجل من ذوي العلم الواسع في التاريخ العبري القديم، وهذا من حقه علينا. ولكن ما علينا توضيحه أننا أحق بسليمان وداود منه.

أما رؤيته أن اليهود أحق بهذا، فهذا راجع إلى أنه ينطلق من نظرة عنصرية ضيقة، مفادها أن العبرانيين الحاليين يرثون العبرانيين القدامى. أما نظرتنا إلى مثل هذه الأمور، فهي نظرة أعمق وأشمل وأكثر انفتاحاً من تلك النظرة العنصرية، وذلك لأن المسلمين هم الامتداد الطبيعي لعقيدة التوحيد التي كان عليها هذان النبيان. أما اليهود فهم امتداد عرقي، أي عنصري. والله لا يحابى أحداً لعنصره. إن هذه العنصرية لا تحمل شرف إرث الدين والتوحيد والعقيدة.

وما كان داود وسليمان بعزيزين على الله إلا بتوحيدهما وخوفهما من الله. والعقيدة ترث العقيدة، والتوحيد يرث التوحيد. ولننظر لهذا العرض القرآني لهذا النبي داود:

﴿وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۩ ﴿٢٤﴾﴾ سورة ص الآية ٢٤.

وهذا ولده سليمان:

﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾ فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ﴿٣٧﴾ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾ هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٠﴾﴾ سورة ص الآيات ٣٤: ٤٠.

ولسنا نبعد طبيعة الدين الرباني عندما نقول إن المسلمين هم ورثة هذا الأب داود، وهذا الابن سليمان، مهما كان جنسهم أو لونهم أو لغتهم:

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥﴾ وَوَرِثَ سُلَيْمَٰنُ دَاوُۥدَ ۖ وَقَالَ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ عُلِّمْنَا مَنطِقَ ٱلطَّيْرِ وَأُوتِينَا مِن كُلِّ شَىْءٍ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٦﴾﴾ النمل ١٥/١٦.

ولنا أن نقرر أن من يرث الأنبياء يرثهم بما كانوا به أنبياء، يرثهم عندما يكون على ملتهم، وليس من ذرياتهم. إن ميراث النبوة لا يكون بالعرق. وما كان يوماً بالعنصر، إنما كان باتباع ما كان عليه أهل النبوة. والقرآن يضرب مثلاً عملياً للمسلمين، لكي يتجاوزوا ويستعلوا على النظرة العنصرية. هذا المثل هو علاقة نوح بابنه. إن ابن نوح ليس من أهله، لأنه عمل غير صالح.

إن هذا المنطق الخرب، منطق العنصرية لن يكون له نصر وسيادة في القرن الواحد والعشرين الذي نحن على أعتابه. أما كونهم قد سادوا في القرن العشرين، فهذا أمر طبيعي في ظل غفلة الأمم عن خبثهم ومكرهم، ذلك الخبث اليهودي المشهور. ورغم هذه الأسطورة، أسطورة شعب الله المختار، فلن يكتب النصر لهذه العنصرية المقيتة، إن العرق قد يورث اللون، لون البشرة، يورث اللغة، يورث بعض الطباع، ولكنه لا يورث ميراث النبوة.

إن هذا الإرث هو تراث، ليس حكراً على أمه دون أمه، ولكن هذا التراث

(يستخدم القرآن في سورة الفجر التراث بمعنى الميراث) هو أصل لمن يسير على منهاج الأنبياء، سواء أكانوا عرباً أم عبرانيين، أم فرساً، أم إغريقيين، أم لاتينيين. . . . . إلخ.

ولقد حارب القرآن هذه الثغرة العنصرية في أكثر من موضع، كما أشرنا آنفاً من اعتبار ابن نوح ليس من أهله، لأنه لم يسر على منهاج أبيه، وتجدر الإشارة إلى موضع آخر، وهو أمر الله تعالى لقريش أن يفيضوا من حيث أفاض الناس، أي قريش وأهل الجاهلية قبل الإسلام. وهذا واضح في إرادة الله، لأن تزال كل الحواجز العرقية بين البشر وبين الشعوب:

﴿ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسْتَغْفِرُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٩٩﴾﴾ سورة البقرة ١٩٩. وذلك محاربة لنظرة التعالي التي كانت لدى قبيلة قريش تجاه الآخرين. وعندما قال أبو ذر الغفاري لبلال الحبشي:

«يا ابن السوداء». قال له الرسول: «إنك امرؤ فيك جاهلية».

جاهلية النظرة الضيقة المحدودة التي تنظر إلى اللون والعرق، ولا تنظر إلى العمل والسلوك الأخلاقي النبيل.

١٠ - في سياق استغلاله. للترجمة في إدخال آراء سياسية صهيونية، يقول في هامش رقم ٥ صفحة ٥٥٢:

«إن التعليقات والشروح تشير إلى الحرب بين جالوت وبين داود، وأيضاً إلى اجتياح اسرائيل على يد بختنصر».

وضعت هذه الحاشية لتوضيح ترجمته للآية رقم ٥ من سورة الإسراء: ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُواْ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴿٥﴾﴾.

ووجه الاعتراض على حاشية شوراكي، هو أنه وضع اسم «اسرائيل» بدلاً من «فلسطين» وهو يتحدث عن الحرب بين جالوت وداود، وعن اجتياح بختنصر لفلسطين. والرأي التاريخي الصائب والمعروف في كل كتب التاريخ المحايدة

أن أرض فلسطين لم تحمل مطلقاً اسم «اسرائيل» قبل إنشاء الدولة الصهيونية في ١٩٤٨.

ووضع اسم «اسرائيل» داخل هذه الترجمة القرآنية، يمثل نوعاً من أنواع إعطاء المصداقية لادعاء اليهود بالحق التاريخي في أرض فلسطين، حيث يدعون أنها أرض الميعاد. ولسنا ندري أهو من باب السخرية أم من باب الاستهزاء بأنفسهم أن يطلق اليهود على أنفسهم شعب الله المختار؟ أي اختيار هذا؟ إن الله لا يختار أمة دون أمة إلا بقدر ما تتمسك هذه الأمة بدعوة التوحيد، والتحلي بنبيل الأخلاق الإنسانية. وهذا الشعب أسوأ شعوب الأرض: بخلاً وجبناً - إلا قليلاً منهم - ولم تشهد حولياتهم ولا تاريخهم مواقف نبيلة وتصرفات أخلاقية محترمة، فكيف يكون شعب دنيء عرف بالابتزاز والدناءة. شعب الله المختار؟!!.

١١ - يترجم كلمة الأنبياء بالملهمين inspirés بدلاً من الكلمة المعروفة وهي Prophéte وشتان ما بين النبي والملهم. فالنبي يوحى إليه، وهو مختار من الله، لينبيء غيره، ممن حوله بدعوة التوحيد. أما الملهم فهو بشر عادي غير نبي، يتمتع بشفافية تجعله يستلهم بعض الأمور، مما قد لا يستطيعها غيره. ولقد تحدث النبي ﷺ أن من أمة الإسلام ملهمين، وذكر عمر بن الخطاب على إنه ملهم.

والوحي يصبح عنده الإلهام: inspiration بدلاً من الكلمة المعروفة في اللغة الفرنسية للدلالة على الوحي، والتي تتسق مع مدلولها في اللغة العربية وهي: Révélation أي الوحي. ونرى شوراكي يترجم قوله تعالى: ﴿**وأوحينا إليك**﴾...

(صفحة ٢٠٧) وترجمة هذه العبارة: «ألهمناك». Nous t'avons inspiré

وجدير بنا أن نذكر أن اختياره لكلمة inspiration لترجمة كلمة الوحي، وفعل inspirer لترجمة يوحي، راجع إلى تصوره التوراتي، وأيديولوجيته حول مفهوم الكتاب المقدس.

ولتوضيح ذلك نقول: إن أهل الكتاب من اليهود والنصارى الآن يعتبرون أن

نص التوراة والإنجيل ما هو إلا إلهام، وليس وحياً. ولذلك يختار شوراكي كلمة الإلهام بدلاً من كلمة الوحي في سياق ترجمته تلك.

١٢ - نرى عنده أن كلمة الكفر مترجمة effacage أي المحو. وهناك كلمة معروفة في الفرنسية وهي athéisme ونرى كلمة الكافر تصبح effaceur أي الماحي، ويمكن ترجمة هذا اللفظ بـ: incroyants أو كلمة athéiste.

واختيار شوراكي لكلمة effasage لترجمة الكفر راجع إلى المنهج الذي اتبعه، وهو الرجوع إلى أصل الكلمة. والكفر في الأصل هو الستر. ولكن الكلمة المختارة للترجمة لا تعبر عن المعنى القرآني لكلمة الكفر، وليس كذلك لمفهوم الكلمة اللغوي وهو الستر والتغطية: كفر الشيء أي غطاه، وقد كان العرب يقولون إن السحب كفرت الشمس، أي غطت، وسترت الشمس.

١٣ - في هامش رقم ٤ (صفحة ٢٠٥) يقول: «إن صعود عيسى في القرآن يؤكد المصير الاستثنائي لهذا الرسول، والذي له دون باقي الملهمين (يقصد الأنبياء) صفات تعطيه سلطات أو قدرات استثنائية، مثل الخلق والبعث». ثم يسكت عند ذلك، وهذا كمن يقول: «لا تقربوا الصلاة» ثم يسكت.

إن بعث عيسى عليه السلام لأحد الموتى قد حدث فعلاً، وخلقه للطير حقيقة لا ينكرها مسلم، ولكن كل ذلك كان باسم الله وإذنه.

١٤ - في سورة طه يترجم الآية ٦٣: ﴿قَالُوٓاْ إِنۡ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخۡرِجَاكُم مِّنۡ أَرۡضِكُم بِسِحۡرِهِمَا وَيَذۡهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلۡمُثۡلَىٰ ٦٣﴾ يترجمها كما يلي:

"Ils disent "Qui, ces dux- là sont des sour ciers, ils ueulent Vous ex pluser. de Votre terre par leurs sor cellesies et s'enfuir avec vas Voies exemplaires".

إن ترجمة الآية حتى «بسحرهما» هي ترجمة صحيحة. كما يبدو لنا، أما ترجمته للآية «ويذهبا بطريقتكم المثلى» فهي ترجمة تثير الضحك، فهي: «أن يهربا بطرقكم النموذجية». إن إيحاء كلمة (الهرب) هو إيحاء سلبي، والهرب هو صفة من يرتكب فعلاً منافياً للقانون والعرف والأصول الأخلاقية، ويسعى للخلاص من العقاب، وهي صفة لا تليق بأنبياء الله.

يعلق شوراكي على هذه الآية في الهامش قائلاً: «إن الجملة غامضة»، وبدلاً

من ان يستخدم لفظة (آية) استخدم لفظة جملة. أما كون الآية غامضة فهي غامضة بالنسبة إليه، لأنه لا يحسن العربية. وإن كان يحسنها فما وجه قوله إن الآية غامضة؟!

١٥ - في سورة الأحقاف يترجم الآية الرابعة: ﴿أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ بما يلي "Ont-ils une société dans les ciels" أي تصبح كلمة شرك في هذه الترجمة شركة مع أن المراد بكلمة شرك، في السياق القرآني: نصيب أو جزء، وليس شركة، وبالتالي تتحول الآية إلى نوع من أنواع الطلاسم صعبة الفهم والاستيعاب.

١٦ - إن كلمة (بلاغ) في هذه الترجمة دائماً مترجمة بـ: alerte أي تحذير. والبلاغ أعمق وأعم من التحذير، لأن البلاغ يفيد التبليغ، أي التوصيل: توصيل الدعوة للبشر بما يحمل هذا التوصيل من تبشير وتحذير، أما اختزال التبليغ أو البلاغ إلى تحذير فهذا يعد اجتزاء للمعنى القرآني. ونذكر مثالاً على هذه الترجمة بما حدث في أثناء ترجمته للآية ٢٥ من سورة آل عمران،

وجدير بنا أن نوضح أن عقليته الغربية تجاه الإسلام تسيطر على اتجاه الترجمة. وذلك أن الغرب - كما أوضحنا في رقم ٢ - لا يعرف من الإسلام إلا جانب العنف والشدة، ولذلك اختار شوراكي كلمة التحذير بدلاً من البلاغ.

١٧ - تصبح كلمة الإسلام عند شوراكي التهدئة، أو إعادة السلام Pacification وطبعاً ليس هناك علاقة بين مفهوم الإسلام الذي يعني الاستسلام لله والخضوع الإرادي لتعاليم ومباديء الدين، وإسلام الوجه لله. ولذلك نقترح هذه الترجمة Soumissuion àla Volonté divine.

١٨ - تصبح كلمة (المجاهد) في هذه الترجمة (المتحمس) ZeŸlé وشتان بين المجاهد كتعبير له دلالة دينية، وبين المتحمس كدلالة مجتمعية، كالذي يتحمس لقضية ما من القضايا، أو متحمس لرياضة ما، أو لجنس ما، ونقترح إما كلمة Lutteur أو تكتب مجاهد بالحروف اللاتينية، حيث

صارت معروفة في اللغة الفرنسية Moudjahed.

ومن المستحب هنا أن نشير إلى أن كلمة (متحمس) مرتبطة في الفكر الغربي بالتعصب، لأن أدل علامات التعصب وعدم التسامح هو: التحمس لفكرة ما.

١٩ - يترجم شوراكي تعبير (أهل الكتاب) بـ: Les tentes de l'ecrit: وهو يعني (خيم الكتاب) جمع خيمة. وهذا غريب، لأن التعبير المعروف في اللغة الفرنسية للدلالة على أهل الكتاب هو، Gens de Livre وهذا بالطبع لا يخفى على رجل واسع الثقافة والعلم مثل أندريه شوراكي. لماذا إذن لا يأخذ بالتعبير المعروف، ويستخدم ترجمة غامضة خاطئة؟ نرى أن الجواب يتمثل في محاولته لطمس التاريخ الأسود لبني اسرائيل مع انبياء الله. ففي الآية ١٥٣ من سورة النساء نجده يستخدم تعبير Tentes de l'Ecrit لترجمة أهل الكتاب، وبهذا يضيع الهدف القرآني من الآية التي تتحدث عن جزء من تصرفات بني إسرائيل مع الأنبياء وقتلهم بعضهم بغير حق، وطلبهم من موسى أن يروا الله جهرة، ومدى ظلمهم واتخاذهم العجل. تعرض الآية - إذن - لانحراف بني اسرائيل عن الهدف الأساسي للرسل والأنبياء: وهو رسالة التوحيد. فالقاريء لهذه الآية بعد الترجمة يتساءل من هم (خيم الكتاب) الذين ارتكبوا كل هذه المصائب.

وفي هامشه الموضوع لهذه الآية يقول: «إن أمنية رؤية (إلوهيم) - في العبرية تعني الله - كانت أمنية موسى، وليس بني إسرائيل، لأن أولئك سوف يعبرون عن أمنيتهم هذه لعيسى، ولكن بتعبير آخر وهو «أرنا أبانا».

يحاول بهذا الهامش أن يعطي القارىء انطباعاً أن القرآن به خطأ تاريخي وهو أن نبي اسرائيل لم يسألوا موسى رؤية الله - وهو بهذا يستخدم معلوماته التاريخية بصورة تجعل الآية القرآنية في نظر قاريء الترجمة الفرنسية في موضع خطأ تاريخي. ونص الآية واضح في أن بني اسرائيل قد سألوا موسى رؤية الله.

﴿يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ فَقَدْ سَأَلُوا۟ مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓا۟ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ۚ﴾ آية: ١٥٣ النساء..

إذن الآية واضحة في أن بني اسرائيل طلبوا من موسى رؤية الله. ونشير إلى أن موسى كذلك طلب هذا من ربه: «ربّ أرني أنظر إليك»، ولكن كانت كذلك رغبة بني اسرائيل.

بيد أن شوراكي يقول: إن بني اسرائيل لم يسألوا موسى هذا، ويقول: لأن «الموجود في انجيل يوحنا ١٤ - ٨، وسورة الأعراف آية ١٤٣، وسفر الخروج ٣٣ - ١٨ هو أن طلب الرؤية كان من موسى فقط.

وإذا حللنا الشاهد السابق، نرى أن شوراكي يقول: إن القرآن يناقض نفسه عندما يقول في الآية ١٤٣ من سورة الأعراف.

﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗاۚ فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٤٣﴾. ولا نرى مطلقاً أي وجه للتناقض بين نص آية الاعراف ١٤٣ وآية النساء ١٥٣، لأن في الآية الثانية هو طلب بني إسرائيل للرؤية، أما في الأعراف فهو طلب موسى.

ولنا أن نوضح أنه إذا كان سفر الخروج وإنجيل يوحنا لا يذكران أن بني إسرائيل قد طلبوا هذه الرؤية، فإن القضية واضحة بالنسبة للمسلمين، وهي أن القرآن مهيمن على ما سبق من الكتب السماوية، وهو مصوب للتحريف الذي أحدثه أحبار اليهود وقساوسة النصارى، وما زالوا يحرفونه كما يحدث الآن من تحريف مخطوطات البحر الميت التي اكتشفت في سنة ١٩٤٨م، ويلعبون بها الآن، ويعد هذا امتداداً لتاريخهم المعروف بالتلاعب بالكتب. والتلاعب بالكتب المقدسة، أصبح معروفاً لعامة أهل العلم من الباحثين في تاريخ العهدين القديم والجديد. وبقى الآن هذا السؤال الذي زلزل عقيدة كثير من اليهود والنصارى، هل التوراة والإنجيل هما كلمة الله؟

٢٠ - وقراءة سريعة لترجمة سورة الجمعة، نلاحظ من خلالها أنه يقول في مقدمة الترجمة لهذه السورة، أنها من الإلهام المدني. وقد أوضحنا في نقطة سابقة (رقم ١١) لماذا إصراره على كلمة (إلهام) بدلا من (وحي).

وتراه يترجم كلمة الأميين بـ: les matries اعتمادا على أصل كلمة الأمي اللغوي، ويترجم (ذكر الله) بـ (ذاكرة الله).
Lamémoire de Dieu.

٢١ - في تقديمه لسورة النصر، يذكر أن الوحي يأخذ في هذه السورة، صورة تقدمية، ولسنا ندري أية تقدمية تلك التي يأخذها الوحي، فبدلاً من الإشارة إلى المعاني الراقية والسامية لهذه السورة والتي تتجلى في طلب الله من الرسول الاستغفار والتسبيح بحمدالله مع أنه في غاية النصر، أنه فتح مكة، فمع أنه منتصر فهو مطالب بالاستغفار والتسبيح، يالها من قمة العظمة! أن يتواضع العبد لربه، ويخضع له وهو في قمة النصر، فإذا جاء النصر والفتح وأصبح الناس يدخلون في دين الله أفواجاً فلا تترأس عليهم، ولا تجعل من نفسك ملكاً عليهم، بل سبح، واستغفر، كما كنت تسبح وتستغفر وأنت مطارد في مكة، ويسخر منك ويستهزأ عندما بدأت بهذه الدعوة.
في حالة الضعف تسبيح واستغفار، وفي حالة النصر والفتح كذلك، لأن القضية ليست نصر فئة على أخرى، بقدر ما هي دخول الناس في دين الله.

ويترجم النصر بـ: Secours أي النجدة، أما سورة الفتح فهي Victoire أي النصر. ويترجم «كان ثوابا» بـ Le Voilà, c'est le retour أي هذه هي العودة، اعتماداً على أصل الكلمة اللغوي من كون التوبة هي من تاب أي رجع.

٢٢ - يترجم سورة الاخلاص بـ Purification أي التطهر، وهذا اعتماداً على هذه القاعدة التي تبناها في الترجمة، وهي اعتماد الأصل اللغوي، وليس مرادها القرآني أو الشرعي. ويقول في تقديمه للسورة: إن أصل هذه السورة مضطرب، ثم لا يعطي تعليلاً لهذا الحكم الذي أصدره على هذه السورة، التي تمثل ركيزة عظيمة من ركائز هذا الدين، وهي ركيزة التوحيد، توحيد الله، وهي التي تجعل غير المسلم الذي يتمتع بعقلية مفكرة متحررة من الانحراف الأيديولوجي يعترف بعظمة الإسلام، لأن هذا التوحيد يمثل التجاوب الحقيقي مع المنطق العقلاني الذي يرفض آلهة الهوى التي يتخذها الإنسان أوثاناً من دون الله.

الخاتمة

لقد بذل أندريه شوراكي جهداً كبيراً في سبيل ترجمته تلك، بيد أنه قد أخطأ المنهج، هذا المنهج المتمثل في ترجمة أصل الكلمة اللغوي، دون النظر إلى مضمونها في السياق القرآني، ومدلولها الشرعي. وكانت من نتيجة هذا المنهج غير المتناسب مع طبيعة النص القرآني، أن صارت ترجمته من أسوأ ترجمات القرآن حتى الآن، رغم غزارة علم هذا الرجل.

ومما نخلص إليه - كذلك: سيطرة ثقافته التوراتية، وتاريخ العهدين القديم والجديد على عقليته أثناء ترجمته للقرآن. ومن هنا نرى أن كثيراً من الهوامش يتضمن إسقاطات متعلقة بتاريخ التوراة والإنجيل، على بعض الموضوعات التي يعالجها القرآن. ولعل مرد ذلك إلى انكباب الرجل لمدة سنوات على ترجمة التوراة والإنجيل قبل ترجمته القرآن، فلما شرع في ترجمته تلك كانت عقليته متأثرة بشكل كبير بتاريخ اليهودية وتاريخ المسيحية، وكذلك بمدى صحة بعض نصوص التوراة والإنجيل.